# تجليات الواقعية في شعر سعاد الصباح

د. فرزانه رحمانيان كوشككي Dr. Farzaneh Rahmanian
Department Of Arabic language and literature, Ramhormoz Branch
Islamic Azad University, Ramhormoz, Iran

## الملخص

**لقد تألقت الواقعية كمذهب أدبي بعد أفول الرومانسية في حدود المنتصف من القرن الماضي، وفي هذا الاتجاه راح الشعراء يتحدثون عن الواقع محاولين تغييره، معتقدين أن الأدب وسيلة من وسائل البناء لإصلاح الحياة، والشعراء في الكويت لم يكونوا منفصلين عن أمثالهم من الشعراء المعاصرين على امتداد الوطن العربي. ولهذا قررنا تسليط الأضواء على أعمال شاعرة كويتية شقت طريقها إلى الصفوف الأولى رغم تخلف المرأة الكويتية عن ركب مثيلاتها في الدول الأخرى. هذه السيدة الشاعرة لم تكن سوى الدكتورة سعاد الصباح ابنة الكويت وأميرة الشعر التي ناضلت من أجل حصول المرأة الكويتية على حقوقها الإجتماعية والسياسية، ولها إنتاج شعري يغطي سلسلة من المواضيع. والموضوع الذي اخترناه للبحث في هذا المقال من تضاعيف أشعارها هو الواقعية،لأنه إتجاه يجعل الإنسان والمجتمع موضوعه والشاعر الواقعي يختار تجاربه بموضوعية ويكون متصلا فيما يكتبه بحياة الإنسان في مجتمعه، نافعاً لناس مجتمعه وعصره، ويسعى لعرض الحقيقة بعيداً عن التعميمات، وهذا ما لمسناه في شخصية هذه الشاعرة المتميزة. هذا البحث في البداية يشير باختصار إلى بعض الدراسات التي تناولت قصائد الشاعرة، ثم يبين مفهوم الواقعية، ويقوم برسم أهم سماته العامة ومن ثم يتناول البحث إبراز تلك السمات في الأبيات من خلال دراستها في بعض دواوينها كنماذج حتى نكشف في النهاية أنه ملامح الواقعية مشهودة في قصائدها، إلى جانب الإتجاهات والأغراض الأخرى، لما شهدته الشاعرة من تقلبات صاخبة في مراحل زمنية مختلفة، فهي شاعرة لها عالمها الخاص من تجربة الشعر.**

**الكلمات الدليلة: (الكويت، الشعر المعاصر، سعاد الصباح، الواقعية).**

### المقدمة

إن الأدب لا ينفصل عن المجتمع، ولا يمكن تصور كيان للكويت ومجتمعه دون تصور أدب خاص به، وقد ترك البحر والصحراء وهما أهم مظاهر الطبيعة التي وسمت بيئة الكويت أثرهما على الأدب، وكان يكثر تداول الأشعار في جلسات الأسمار التي يتبارى فيها الشعراء، وقد أدى التواصل الثقافي بين الكويت والدول العربية إلى أن تنعكس التحولات الثقافية فيها على المسرح الثقافي في الكويت، وظهرت أندية ثقافية وجمعيات ومجلات أدبية، ولمعت أسماء عديدة للشعراء الكويتيين، ومنهم من وقف جهده وماله لدعم الحركة الأدبية عموماً، ومنهم الدكتورة سعاد الصباح.

الشيخة سعاد الصباح شخصية كويتية معروفة تترأس عدة مؤسسات وتقوم بدور نشط في تنمية دولتها وإحقاق حقوق النساء حيث ناضلت من أجل حصول المرأة الكويتية على حقوقها السياسية وهذا ما تحقق أخيرا. إنها بنت الكويت، منذ طفولتها انحازت الى المظلومين والضعفاء وعبرت عن ذلك في قصائدها. بالرغم من نشأتها في بلاط الأمراء والترف الذي عاشت فيه قررت أن تغير الواقع الذي يحيط بها ولقد استطاعت توظيف كل طاقاتها لأجل هذا التصدي والصمود أمام تحدياته حيث كانت تملك الوسيلة لذلك، فهي أميرة زوجة الشيخ عبدالله المبارك، لذا سبحت ضد تيار الواقع، تميزت عن بنات جيلها جرأةً وفكراً، وعبرت عما بداخلها بكل صراحة تجاه قضايا تمثل عمق المجتمع والمرأة وتقدمها، وبخاصة واقعها وقضايا الأمة العربية، وركزت على الجوانب الإنسانية ودعت الى وعي الظلم والخلل الإجتماعي راجيةً ايجاد العلاج.

بعد أن ظهرت المدرسة الواقعية وترجحت كفتها في موازين الذوق والأدب، راح الشعراء يتحدثون عن الواقع، والشعراء في الكويت لم يكونوا منفصلين عن أمثالهم من الشعراء المعاصرين على امتداد الوطن العربي،لأن الواقعية تعتمد على الوقائع وتصوير أحوال المجتمع، ونظرا لأن الشاعرة سعاد الصباح شجاعة

وثائرة حقيقية اختارت مواجهة الطقوس بعبارات صريحة في مجتمع التقاليد ففي هذا المقال سنحاول أن نجيب على هذا السؤال:هل للواقعية تجليات في شعر سعاد الصباح؟ وكيف برزت تلك السمات؟ وذلك عن طريق دراسة بعض دواوينها (برقيات عاجلة إلى وطني- القصيدة أنثى والأنثى قصيدة- خذني إلى حدود الشمس- أمنية- في البدء كانت أنثى- إليك ياولدي) وبعض القصائد المتميزة كنماذج، بهدف إبراز تلك الملامح (الواقع الإجتماعي والسياسي والتمرد ورفض الظلم وظاهرة الألم والحزن والإحساس بالغربة والتناقضات واستخدام التعابير العامية والإستعانة بالأساطير والتبشير بالفجر الجديد) في القصائد، وبيان دور الشاعرة في مواجهة الواقع، معتمدين على المنهج التوصيفي التحليلي.

## دراسات سابقة

هناك دراسات تدل على اهتمام النقاد والباحثين بتجربة سعاد الصباح الشعرية فكانت موضوعا لكتب ومقالات عديدة نستعرض بعضها: فقد درس(سعيد فرحات) في كتابه(قراءة نقدية في شعر سعاد الصباح) ثلاثة دواوين من أعمال الشاعرة، منطلقاً من ثلاثة مدارس شعرية هي المدرسة الرومانسية في ديوانها أمنية، والمدرسة الكلاسيكية في ديوانها فتافيت إمراة،والمدرسة المهجرية في ديوانها إليك يا ولدي(فرحات:٥)، وتطرق(نبيل راغب) في بحثه (عزف على أوتار مشدودة) إلى جرأة الشاعرة سعاد الصباح في خوض قضايا المجتمع والمرأة(راغب: ٢٣٦)، وكتب فضل الأمين دراسة بعنوان(سعاد الصباح شاعرة الإنتماء الحميم) وتعرض فيها إلى مواقف انتمائها للأرض والوطن(الأمين: ٨)، ووصف سمير سرحان الشاعرة بأنها شاعرة وطنية في دراسته لقصائدها الوطنية في كتابه(صورة الواقع العربي في شعر سعاد الصباح)وهي دراسة قد تتشابه والسابقة، وأما الدراسات التي أجريت في ايران فمنها بحث بعنوان(الشعر الكويتي الحديث) التي قام به الباحث الإيراني (خيرالله الجلداوي) في رسالته الماجستير حيث قام بدراسة قسم من أشعار سعاد الصباح، وهناك مقالة بعنوان(دراسة أسلوبية في قصيدة موعد في الجنة) للمؤلفين(عيسى متقي زاده-كبرى روشنفكر ونورالدين بروين) حيث قاموا بدراسة القصيدة الرثائية موعد في الجنة في مبارك ابنها الذي رحل مبكراً، وتميزت بالكشف عن أهم خصائص الأسلوبية في القصيدة والميزات البارزة للمستوى الصوتي في أسلوبها. ويمكن الإشارة إلى دراسة تطبيقية بعنوان(فروغ فرخزاد وسعاد الصباح في مثلث الحب والسياسة و الكتابة النسوية) للمؤلفين(مهدخت بورخالقي وحميد تقي آبادي) وأيضاً نُشرت دراسة بعنوان(التناص الديني في أدب المرأة الكويتية شعر سعاد الصباح نموذجاً وهي دراسة متكاملة لإبراز التناص الديني في أشعارها، وهكذا نجد أن الدراسات المذكورة إما أنها تطبيقية أو أنها أُفردت لموضوع خاص أو قصيدة واحدة، وهناك دراسات تركز على القومية والوطنية، ولكننا في هذا المقال سنبحث عن مواقع وتجليات الواقعية بصورة عامة، ولا نُفرد واقعية إجتماعية أو قومية أو سياسية اذن هذه دراسة أشمل، وهو موضوع متميز ويحتاج إلى دراسة وافية.

## السيرة الذاتية

ولدت في مايو ١٩٤٢ في بيئة كويتية تقليدية، تلقت تعليمها الاولي بمدرسة الخنساء وتعليمها الثانوي في مدرسة المرقاب وفي عام ١٩٧٣حصلت على شهادة البكالوريوس في الإقتصاد والعلوم السياسية مع مرتبة الشرف بجامعة القاهرة، وحصلت على شهادة الماجستير من المملكة المتحدة،كما حصلت على شهادة الدكتوراه في الإقتصاد والعلوم السياسية من جامعة ساري جلفورد في المملكة المتحدة عام،١٩٨١ الشيخة الدكتورة سعاد محمد الصباح شاعرة وكاتبة وناقدة كويتية ومؤسسة لدار سعاد الصباح للنشر والتوزيع عام ١٩٨٥ (معجم البابطين:٣٦٥).متزوجة من الشيخ عبدالله المبارك الصباح في ١٥ سبتمبر ١٩٦٠ ولها خمسة أولاد. كان للشيخ محمد الصباح والد الشاعرة سعاد الصباح تأثير عميق عليها حيث ورثت عنه جزءاً كبيراً من إهتماماتها الخاصة أبرزها حبها للقراءة والكتابة والشعر (مجلة العربي:العدد٦٤٤).

والشخصية الثانية التي كان لها الدور الكبير في حياة الشاعرة الشيخ عبدالله المبارك زوجها وحبيبها وصديقها ومعلمها حيث ذكرت في حوار صحفي عنه:" من أهم أفضال عبدالله المبارك أنه صنعني فكرياًوثقافياً عندما فتح أمامي الضوء الأخضر لأواصل تعليمي، قليلون هم الرجال الذين يصنعون نساءهم على أكتافهم ويصعدون بهم الى قمة جبل في هذا الوطن العربي " (المصدر

نفسه) .إن دراسة سعاد الصباح في كل من مصر وبريطانيا ثم ليبرالية الكويت مجتمعا وسياسة افرزت هذه الشاعرة. هذا ولاننسى تأثير البيئات التي عايشتها الشاعرة على إنتاجاتها الأدبية فالمجتمع الكويتي بتقاليده وأعرافه وقبائله وطبيعته من البحر والصحراء والنخيل واستخراج اللؤلؤ من أعماق البحر ثم علي النقيض من ذلك المجتمعات الأخرى وآدابها التي تعرفت عليها في لبنان ومصر والعراق والمدن الاوروبية ذات الأجواء المتفتحة تقول عن ذلك: " ثم جاء السفر ليمنحني فرصة العمر في التعرف الى شعر دنيا العروبه في لبنان والشام ومصر( المصدر نفسه) إنها تأثرت بشعر المهجريين والشاعر نزار قباني وتعارفت مع شعراء كانوا كوكبة في عصرهم.ولا ننسى أن نشأتها في الأسرة الحاكمة من آل الصباح منحتها جرأة متميزة ورفاهية الثراء الموروث في هذا المجد العائلي.

## الواقعية في اللغة والأدب

يلاحظ أن كلمة الواقع في اللغة مشتقة من وقع،وقع على الشيء ومنه يقع وقعاً وقوعاً والواقع هو الحاصل يقال أمر واقع (ابن منظور مادة وقع).

أما الواقعية في الأدب فجاء أنه مذهب يعتمد على الوقائع ويعني بتصوير أحوال المجتمع على ماهي عليه (مجمع اللغة العربية، مادة وقع)، فالواقعية الأدبية اذن هي تصوير مبدع للإنسان والطبيعة في صفاتهما وأحوالهما وتفاعلهما مع العناية بالجزئيات والتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية ولو كانت تفصيلات مبتذلة وكل ذلك ضمن الإطار الواقعي المألوف (الأصفر،١٩٩٩ م:١٣٣).

لقد كانت المرحلة التي عقبت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول خطير ليس في الشعر العربي فحسب بل وفي الأدب العربي بأسره...فقد كانت نذيراً بأفول الرومانسية وبداية التحول...،وتحول الشعراء الى موضوعات ومعاني كانت ترتبط بالواقعية والواقعيون يرون أن من الخطأ أن ينصرف الأدب عن نقد الحياة الإنسانية الى موضوعات ذاتية والهروب من الحياة والتغني بالرياض والأزهار(نشاوي، ١٩٨٠م: ٣٣٥ و٣٤٠).

ظهر الإتجاه الواقعي في الشعر العربي في حدود منتصف القرن العشرين ومن سمات هذا الأدب أنه يصف ماهو كائن ويدعو الى مايجب أن يكون فهو وسيلة من وسائل بناء الحياة الإنسانية وتحسينها ولذلك فإن عليه أن يواجه الواقع بدل أن يهرب منه(المصدر نفسه:٣٢١)ويحتفل الواقعيون العرب بالمبادئ الوطنية والقومية والإنسانية فيطالبون بتحرر الأوطان من المستعمر ووحدتها وتحرر الشعوب من التخلف الحضاري المزري...ويتطلعون إلى غد أمثل تسود فيه العدالة الإجتماعية بين المواطنين (المصدر نفسه: ٣٣٢)،وهناك تجارب يتداولها شعراء الواقعية وكأنها مضامين متفق عليها كالتمرد والثورة وما ينسجم معهما من رفض أشكال القوة المتسلطة والإستعمار والنظم التقليدية مع التبشير بالفجر الجديد الذي تحلم به الشعوب...ومع التمرد والثورة ورفض الواقع تبرز ظاهرة الألم والحزن والإحساس بالغربة(هدارة،١٩٩٤م: ٣٨). ويريد الواقعيون أن يكون الأدب وسيلة من وسائل البناء وهم يتحدثون عن الواقع الذاتي والإجتماعي للنفس الإنسانية لا يكتفون بتصوير سلبيات الواقع وانتقادها وإنما يعملون على التغيير(نشاوي: ٣٣٢) وهم حين يصورون الإنحراف والهزيمة والمرض والخوف والدوافع اللاشعورية الدنيئة في الواقع الإجتماعي إنما يتخذون من هذا الوصف وسيلة لإصلاح الحياة الإنسانية الآتية والمستقبلية (المصدر نفسه: ٣٣١).

## الواقعية في شعر سعاد الصباح

إن الواقعية أدبا وفناوفلسفة هي التي كان لها النصيب الأوفر منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدأت هذه الواقعية محتجة متمردة على الواقع الإجتماعي المحيط بها وعن التمرد والرفض والثورة على الواقع الإجتماعي والإنساني نشأ الموقف الذي تضمنه مفهوم الواقعية(ابوحاقة،١٩٧٩م:٢٨).الواقعية العربية تنتزع من جميع المذاهب أنضج ما فيها فقد تظهر في القصيدة الواقعية بعض ملامح الرومانسية أو الرمزية ولكن مع ذلك قد نحكم بكونها واقعية وذلك بالرجوع الى مضامينها المستمدة من الحياة المتجددة(نشاوي: ٣٣٣).ولا مانع أن تتداخل في قصيدة واحدة اتجاهات شعرية مختلفة ويصعب أن نصنف شاعراً لهذا الإتجاه أو ذاك لأنها في حقيقتها مجرد تقسيمات نظرية يقوم النقاد بتقنينها من أجل أغراض الدراسة.

إن شعر المرأة العربية قديمه وحديثه لم يكن من حيث الكم في حجم شعر الرجال وهذا يؤثر على مسألة دراسة شعر المرأة ونقده، وعندما نتصفح دواوين الشاعرة سعاد الصباح نجد روح إمرأة

ثائرة متمردة على التخلف الحضاري للمرأة حيث كانت تعاني في المجتمعات العربية من ضغوط عديدة كالأعراف والتقاليد، وغيرها فقد تأملت جذور هذا الواقع محاولةً تقديم واجبها تجاهه والذي أرادت تغييره ودافعت عن حرية المرأة في الحب وهاجمت الرجعية. وسنكشف مواضع الواقعية الإجتماعية أولاً في أشعارها ومن ثم المواضع الأخرى.

## الواقع الإجتماعي

لقد تأثر الكويتيون في فترة ما قبل عصر النفط بظروف قاسية مثل البحر وصيد اللؤلؤ والصحراء، وهذه الظروف كان لها الأثر الكبير في تكوين العادات والتقاليد، بالإضافة إلى التركيبة الإجتماعية حيث لعبت القبيلة دوراً في توجيه أفرادها. ولم يكن الشعراء الواقعيون في الكويت منفصلين عن هذا المجتمع ومشكلاته، فالواقعية الإجتماعية تهتم بالإنسان ككائن إجتماعي وما يعتوره من ظلم وفساد وفقر وأمية وآفات وأمراض إجتماعية،والشاعر الواقعي يربط نفسه بقضايا الناس في مجتمعهم، ويحاول تقديم الحلول المناسبة،ولا يستطيع أن ينسلخ عن الواقع الإجتماعي الذي يعيش فيه،ويثور علي الأوضاع الإجتماعية وسلبياتها محاولاً تغييرها. وهنا سنتطرق إلى مسألة العدالة الإجتماعية بين الرجل والمرأة، والفروق بين الجنسين وما تتحمله المرأة من قيود واضطهاد في هذا المجتمع وغيرها من سمات الواقعية الإجتماعية.

### الفقر:

وبالرغم من أن الشاعرة أميرة عاشت في رفاهية و ثراء إلا أنها لن تنسى الفقراء والمحرومين وكرست جهودها للدفاع عن حقوق الآخرين ففي قصيدة غاسل الثياب تعرض لنا صورة واقعية حية عن معاناة غاسلة ثياب كأنها مشاهدفيلم:

وقفت تقص عليّ قصتها/وبكفّها الصابون والماء/قالت عيالي ستة ولهم/ في العيش حاجات وأعباء/وأبوهم أزرى الهزال به/ ومشى بصلب عروقه الداء/ أشقى لأدفع عنهم قدراً/لا شئت قسوته ولا شاءوا/.../هذي الثلاثون التي انصرمت/ في العمر تحمل صيحة الناعي/هذي أنا والبرد في رئتي/يغتال أوصالي وأضلاعي/ ويدي تجف كأنما صهرت/ينبوعها في نار أوجاعي(ديوان أمنية: ٣٩). والمشهود أن الشاعرة لم تتعرض للفقر والفقراء ومآسيهم وجوعهم وكفاح العمال أو البطالة وبعض الأمراض الإجتماعية في أشعارها الواردة بالكم الذي تعرضت فيه للمواضيع الأخرى، فقد وقعت عينها على غاسلة ثياب وقصت قصتها كما سمعتها، قد نجد مثلاً شعراء واقعيين قد ذكروا ليلة العيد المؤلمة لدى الفقراء أو اللاجئين في حين تذكر الشاعرةالعيد وفرحة العيد في قصيدة غزلية وتتحدث عن كيفية مواجهة الحبيب كأنثي وتقول: ما أسعد العيد باللقيا وأحلاه/هل تشرق الشمس إلا من مطالعه/أو يجمل العيد إلا عند المرآة؟(المصدر نفسه:٦٦). قديكون مرد ذلك هو طبيعة الحياة التي تعودت عليها الأميرة، وطبيعة الحياة في المجتمع الكويتي بعد ظهور النفط و رفاهية العيش والثراء. وكان يجدر بالشاعرة أن تأتي بصور عن بعض الأمراض الإجتماعية الموجودة في المجتمع الكويتي كالوساطة والغلاء وغيرهما مما أشاعه التجار طلباً للإثراء علي حساب الفقراء كما أشار إليها شعراء كويتيون آخرون.

### واقع الرجل والمرأة الإجتماعي في المجتمعات الشرقية:

لم يكن للمرأة في الكويت القديمة دور خارج نطاق البيت والعائلة، فالمجتمع الذي كانت تعيش فيه مجتمع محافظ، تسود فيه تقاليد البادية، والكلمة كانت فيه للرجل، أي يرى الرجل أنه المتفوق في كل شيء، وله الدور المتميز، أما المرأة محرومة حتى من أبسط حقوقها، وكانت الفوارق بين الجنسين في النشاطات المختلفة قد أبعدت المرأة من الوصول إلى المراكز المهمة. لهذا انصرفت الشاعرة سعاد الصباح للدفاع عن بنات جنسها بكلماتها وأشعارها، وكرست جهودها لتخلصهن من قيود ذاك المجتمع، هكذا نراها تتطرق لواقع المرأة في عصر الحريم الذي يفرضه المجتمع عليها، تقول في قصيدة ليلة القبض على فاطمة:هذي بلاد..تختن القصيدة الأنثى.../وتشنق الشمس لدى طلوعها/ حفظاً لأمن العائلة.../وتذبح المرأة إن تكلمت.../أو فكرت.../أو كتبت/أو عشقت/غسلاً لعار العائلة(ديوان خذني الى حدودالشمس: ٨٣) وتأتي بألفاظ كالذبح والشنق والعار لبيان هول الفاجعة فالمرأة في هذه المجتمعات لا تريد إمرأة رافضة خارجة على طقوس العائلة أو ماشية أمام القافلة:هذي بلاد لا تريد إمرأة رافضة/ولا تريد إمرأة خارجة/على طقوس العائلة/هذي بلاد لا تريد إمرأة تمشي أمام القافلة/(المصدر نفسه: ٨٤). فمرد تلك التصرفات تذكرها الشاعرة

لأن هذه المجتمعات حنطت نساءها بسبب عقيدتها بأن الوجه والصوت والفكر والشعر والحب في المرأة عورة وتكرر لفظة عورة للتأكيد:هذي بلادأغلقت سماءها/ وحنطت نساءها/فالوجه فيها عورة/ والصوت فيها عورة/والفكر فيها عورة/ والشعر فيها عورة/والحب فيها عورة/ (المصدر نفسه: ٨٦). ولكن ماذا يريدون من المرأة وماهو الهدف من وجودها في تلك المجتمعات هذا ما عبرت عنه الشاعرة بكل بساطة: ماذا من المرأة يبتغون في بلادنا/يبغونها مسلوقة../ يبغونها مشوية../.../يبغونها عروسة من سُكر../ جاهزة للوصل كل لحظة/.../ هذي هي الوصايا العشر قي حفظ تُراث العائلة../(المصدر نفسه: ٨٩).

لقد عبرت شاعرتنا عما يدور في خلدها ووجدانها من معان تجاه عاطفة الحب من خلال رؤية واقعية رافضة للإنقياد

الأعمي وراء نزوات الرجل ورافضة لعبودية المرأة لذا راحت تطالب بالعدالة الإجتماعية والمساواة بين الرجل والمرأة:

لا لن نذل ولن نهون ولن نفرط في الإباء/لقد انتهى عصر الحريم وجاء عصر الكبرياء/وجلا لنا حق الحياة فكلنا فيه سواء

(ديوان أمنية: ٣٦).وتحدثت عن واقع المرأة في العصور الغابرة حيث كانت مخلوقة أنوثتها ساحقة منذ أن تولد:

هذا أنا من يوم أن خُلقت/أنوثتي ساحقة/ عواطفي حارقة/ (ديوان القصيدة أنثي والانثى قصيدة: ٣٦).

المرأة اذا تخطت حواجزها المرسومة لها من قبل مجتمعها وقبيلتها فهي مطاردة ليتم ذبحها هذا ما تقوله الشاعرة:

سيظلون ورائي/بالبوادر ورائي/ والسكاكين ورائي/(المصدر نفسه: ٨٦). أعرف أن القبيلة تطلب رأسي/وأن الذكور سيفتخرون بذبحي/(ديوان في البدء كانت أنثى: ٢٦).

وتحدثت أيضاً عن واقع الرجل الشرقي الذي لا يهتم إلا بشكل المرأة وليس بعقلها:فلماذا أيها الشرقي تهتم بشكلي/ولماذا تُبصر الكحل بعيني/ ولا تُبصر عقلي/(ديوان القصيدة أنثى والأنثى قصيدة:٤٥)، فهذا الرجل قد ورث نزعات التملك والسيادة والتعددية النسائية من أجداده:كل ما ورثته عن أجدادك/من نزعات التملك والتعددية النسائية/(ديوان في البدء كانت أنثى: ١٣١).فهذا الرجل الشرقي الذي يعيش في عالم الحداثة ولكنه لم يتأثر بها ويحب ذاته تقول عنه بكل صراحة: أنك رغم كلامك عن الحداثة/لست حديثاً/أنك لا تتخلى عن شعرة واحدة/من نرجسيتك التاريخية(المصدر نفسه:١٣٤). والمرأة من خلال رؤيتها ليست في درجات العبيد، وهي ترى وجوب تحرير المجتمعات وبالأخص المرأة التي لها من الحقوق كما الرجل، فقد استطاعت أن تلمس الفارق الكبير بين المظهر الإجتماعي الذي يفرضه المجتمع على المرأة وبين جوهر ذاتها الإنساني الذي طمسته رواسب عصر الحريم، من خلال رؤية ناضجة قائمة على المنطق الواعي،والإدراك لحقيقة هذا المجتمع.

فالرجل الشرقي مازال يرى في المرأة شهواته فهي أداة تسلية ووسيلة لإنجاب البنين وتنتقد الشاعرة هذا الرجل غير مكترثة بلومة لائم:لماذا الرجل الشرقي ينسى/حين يلقى إمرأة نصف الكلام/ ولماذا لا يرى فيها سوى قطعة حلوى/.../ رجل أنت مكتظ بالنساء حتى التخمة/ (المصدر نفسه: ١٢و ٨٣). يبغونهن أداة تسلية ومسألة اشتهاء/وسوائما تلد البنين ليشيعوا حب البقاء/ودمى تحركها أنانية الرجال كما تشاء/وتذل للرجل الاله كأنه رب السماء(ديوان أمنية: ٣٥).

الشاعرة استطاعت أن تواجه المعتقدات التي ترى في المرأة وسيلة إشباع رغبات الرجل وعبرت عن هذه القضايا بكل شجاعة وبألفاظ صريحة بعيدة عن التورية والرمز وهذه من خصوصيات الشاعر الواقعي، والمتتبع لسيرة الشيخ عبدالله المبارك مع الشاعرة يدرك أنه هو الذي هيأ لها الأجنحة لتحلق بها في عالم الأدب وتخرج من سطوة القبيلة لما كان للشيخ من مزايا الرجل الحاكم الذي له دور كبير في دولته لذا جاءت أشعارها صريحة جريئة.الشاعرة أميرة تحدت طقوس القبائل حيث كان بوسعها أن تكون مجرد أنثى كبنات جيلها لا تُجيد إلا التفاهات ولكنها تمردت واختارت مواجهة الكلمات بمنتهى الشجاعة، ولدت ونشأت الشاعرة في بلاط آل الصباح ووجدت الرعاية والتشجيع من والدها وزوجها لمواصلة دراستها وحياتها الفكرية والأدبية، ولم تعاني من أي ضغوط ووظفت كل طاقاتها لأجل أن تدافع عن بنات جيلها واتخذت من الشعر أداة للتصدي لواقع المرأة الأليم والصمود أمام تحدياته وتقول عن ذلك:كان بوسعي/أن أتجنب أسئلة التاريخ/وأهرب من تعذيب الذات/.../ أن أتجنب آهة المحزونين وصرخة كل

المسحوقين/.../لكني خُنت قوانين الأنثى/ واخترت مواجهة الكلمات/(ديوان في البدء كانت أنثى: ٢٠ – ٢١).إنها تجد السعادة في عملها هذا،تقول:إن السعادة عند ذروتها/هي أن أعيش لأسعد الناسا/ (ديوان أمنية: ٤٢). إنها تضع نفسها بديلاً عن كل نساء العالم.وطرحت في أغلب شعرها ما كان يشغل بال المرأة العربية حيث كان الشعر هو الملجأ الكبير الذي تلوذ به للبوح عن آلامها كما تذكر:"إنني ألجأ إلى الشعر لأتحرر من الخوف الذي تشعر به الأنثى في هذه المنطقة، ألجأ إليه لأنه يحميني ويقويني...ألجأ إلى الشعر لأنه المكان الوحيد الذي أستطيع أن أصرخ بحرية وأغني بحرية وأضحك بحرية وأبكي بحرية"(مفيد،٢٠٠٠:٤٠). أما الشاعرة في(أوراق من مفكرة إمرأة خليجية) تعلن عن هويتها و أنها لا تقاتل من أجل نفسها بل من أجل الآخرين:أنا الخليجية/الهاربة من كتاب ألف ليلة وليلة/ ووصايا القبيلة /.../أنا النخلة العربية الأصول/والمرأة الرافضة لأنصاف الحلول/ فبارك ثورتي/أنا الخليجية/التي تقاتل بأظافرها/من أجل أن يكون الخبز للجميع/ (سعيد فرحات: ٥٤). نجدها تقدم لفظة أنا لتؤكد أنها تتحدث نيابة عن بنات جنسها وتدافع عن قضاياهن وتقرر أنها خليجية لكنها تحمل راية الثورة.

تحدثت الشاعرة كثيرا عن الحب وعن الفارق الكبير بين المرأة إذا أحبت والرجل إذا أحب فهي ترفض الحب المخبأ وتقول:

أنا لا أحترم حباً/يلبس الأقنعة/ ويتحرك خلف الكواليس(ديوان في البداية كانت أنثى، ١١٨) .

"الشعر هو مواجهة بالسلاح الأبيض ومعركة من أجل التغيير... إن كل كلمة جديدة وشجاعة تكسر عادة من العادات" هذا ما تقر به سعاد الصباح(سعيد فرحات: ١٠٤)، الشاعرة تتخذ من الحب العلني وسيلة للتغيير والخروج على العادات الموروثة لأن السفر الى الخارج منحها تلك الجرأة، تقول عن ذلك: أبحث في بيروت/ عن حرية الحب وعن حريتي/أحس في بيروت أني إمرأة ثانية/في ذلك العصر الرجولي الذي/صادر عقلي مرة/ومرة أنوثتي(ديوان خذني الى حدود الشمس: ١٤١). الشاعرة شاعرة ثائرة هذا ما قالته في حوارها مع الشاعرة سعدية مفرح والذي نقل في مجلة العربي:" كنت ثائرة حقيقية على كل ما يقيد حقي وقد ساعدني أن لي الزوج الخيمة يفهمني ويقبل ثورتي"(مجلة العربي: العدد٥٥٥). وقد أعلنت ذلك في أشعارها بلغة الشعر بأنها المقاتلة التي تمشي أمام القافلة:لن أتخلى قط عن أظافري/ فسوف أبقى دائماً/ أمشي أمام القافلة/ وسوف أبقى دائما مقتولة أوقاتلة/(ديوان خذني إلى حدود الشمس: ٩٠). وتقول أيضاً أنها إمرأة من فضاء آخر ولن تتنازل عما تريد واستخدمت لفظة فضاء بعيد لتدل على اختلافها عن بنات جيلها باعتبارها فتاة ثائرة ذات كبرياء أنثوي خاص في ذاك المجتمع البرجوازي:أنا الجارحة الكاسرة المقاتلة/.../أنا إمرأة من فضاء بعيد/أنا لست أنثاك/ولن أتنازل عما أريد(ديوان القصيدة أنثى والأنثى قصيدة:٧٧و ٧٨) وكما ذكرنا بأن ظروف الشاعرة العائلية بكل ما توفر لها، هي التي أتاحت لها تلك المواقف الثورية فهي تقاتل وحدها ولا يهمها خروجها عن السنن والتعصبات القبلية: لايهم مطلقا/إن حللوا سفك دمي/ واعتبروني إمرأة/خارجة عن سنة الأوائل/(المصدر السابق:٦٢). الشاعرة تعلن بأنها تقاوم ولاتخشى الغرق وهي كالخنجر تطلع من تحت الرماد وتتحدى كل الطقوس وكأنها تريد الإصلاح والتغيير: ها أنا قد سبحت كثيراً /وقاومت كل البحار ولم أغرق/.../أيها السيد إني إمرأة نفطية/تطلع كالخنجر من تحت الرماد تتحدي كتب التنجيم(المصدر نفسه: ٢١و ٢٢).وهكذا نجد هذه الأشعار في غاية الجرأة،والشاعرة لا تداري ولا تماري تصفع الواقع المر بقسوة مستمدة من عالمها النفسي المضيء بشجاعة وثبات دون إلتفات للعواقب الوخيمة المترتبة عليه.

## الواقع السياسي للأمة العربية ورفض الظلم

تتميز الشاعرة برؤية خاصة تجاه تحرير المجتمعات،وهذه الشخصية منافية للذين يفضلون عدم مواجهة الواقع فقد عبرت عما يكمن في أعماق وجدانها من خلال شعرها القومي، فقد نشأت على أرض العروبة،وتأثرت بمآسيهم،ورغم نشأتها في بلاط الأمراء لكنها لم تدافع عن هذا البلاط، وراحت تبحث عن تغيير الواقع العربي الفاسد، واتخذت الشعر أداة فاعلة للتعبير عما بداخلها تجاه معركة الوطن ووظفت كل طاقاتها لأجل التصدي لهذا الواقع،وتوجعت لآلام الأمة العربية في أي قطر كان، وهذا ما سنبينه في هذا الجانب.

### فلسطين والصهاينة والإستعمار:

كل الشعراء الواقعيين يثورون على

التشرد والضياع والذل والإستعمار،ولهم مواقف رائعة من قضية فلسطين الجريحة، وها هي تعبر عن مشاعرها تجاه فلسطين هذا الجزء المغصوب من الوطن العربي ففي قصيدة أم الشهيد عبرت عن مشاعرها بألم وحزن عميقين وتشير الى ضرورة مواصلة التضحية والإصرار على الدفاع عن الوطن ومواجهة الأعداء، وفي الحقيقة نتبين أنها عبرت عن حزن وألم الأمة العربية، تقول على لسان أم الشهيد:وهبتُه لله رب العباد/فراح ملهوفاً على حقه/.../يُطهر الأرض من المعتدي/ويفتدي بالروح حق البلاد/.../ وخرّ في الساحة مستشهداً/يردد الصيحة بين الوهاد/لا تتركوا السيف على غمده /.../ولا تبالوا بالليالي الشداد/ حتى تعود الأرض صفواً لنا/(ديوان أمنية: ١٣و ١٤). وتدعو لمساندة أطفال الحجارة وهم الأطفال الذين صنعوا المجد بالحجر:فافرشوا السجاد والورد/ لأطفال الحجارة/ واغمروهم بالزهر/إن إسرائيل بيت من زجاج/وانكسر/.../ها هم أولادنا/يضعون الشمس في أكياسهم/ يبدعون الزمن الآتي.. يصيدون الرعود/ ويثورون على ميراث عاد.. وثمود../ (ديوان خذني الى حدود الشمس: ١٥٢). وتشير الى أصل الصهاينة الذين هاجروا الي فلسطين وأنشأوا ملكهم هناك وتدعو إلى انتفاضة كل عربي دون النظر الى العرق وتبشر بعودة القدس لأن الناصر هو الله:

يا بلاد الهوان يا أم صهيون/وبالأم يُعرف الأبناء../يا بلاد المهاجرين ومنهم/جاءنا الضائعون والدهماء/.../ فاتركي العرق وانفري يا دماء/.../ وتعودين يا حبيبة يا قدس/ويرضى المسيح والعذراء/ولنا ناصر من الله..إن الله/ يجزي بنصره من يشاء/(ديوان أمنية: ٢٢ و ٢٣).وتحذر الدول التي تتعلق بأذناب امريكا عن نوايا الدول الكبرى في سحق حقوق الضعفاء:

أيها العالقون في ذيل أمريكا/وبالدون يعلق الأدنياء/كم بتدبيرها تهاوت حقوق/ وسرت فتنة وعم البلاء/.../كم على نارها تلظت شعوب/واستبيحت أطفالها والنساء/(المصدر نفسه: ١٩).

**مصر:**

واهتمت الشاعرة لهموم مصر والأمة العربية، أحبت الزعيم عبدالناصر ورثته في قصيدة (عندما رحل ناصر):

مصر يا أمي ويا همي ويا خير المهاد/.../لا تقولي: أسلم الناصر للموت القياد/بعد أن كان منى العرب وآمال البلاد/

.../إنه كان الذي علمنا معنى الجهاد(المصدر نفسه: ١٥).لا بد للتاريخ أن يروي عن شخصية جمال عبدالناصر الذي استشهد ليبذل من دمه الغالي لقيام الوحدة الكبرى للأمة العربية تقول:ارو يا تاريخ عنه إنه بالروح جاد / في سبيل الله والخير وإنقاذ العباد/.../إنه استشهد كي يصبح للجرح ضماد/باذلاً في جهده من دمه الغالي مداد/لوفاق العرب بعد المحن السود الشداد/.../ ارو عنه أنه قرب أيام الحصاد/ لقيام الوحدة الكبرى وتحقيق المراد/(المصدر نفسه:١٧). وعواطف الشاعرة لا تقف في بلد عربي واحد وإنما تأتي على الساحة العربية،وتعيش مع أفئدة العرب لا تحجبها الحدود لذا نراها تشكي حال العرب الذين تخاذلوا عن الحرب و واصلوا الحوار:ياناصر العظيم/أين أنت أين أنت؟/.../بعدك نام السيف/في قرابه/لا تسأل عن الأعراب/.../و واصلوا الحوار بالظفر وبالأنياب/وحاصروا شعوبهم بالنار والحراب/(خذني الى حدود الشمس:١٤).

وفي قصيدة (صيحة عربية) تعبر عن عواطفها لتاريخ وحضارة العرب وتفتخر بعروبتها في حين تحط من قدر الصهاينة: هؤلاء الكرام قومي فقولوا/من هموقومكم ومن أين جاءوا؟/.../أين تاريخكم وأين البناء؟(المصدر نفسه:١٩).

واستطاعت الشاعرة أن تضع نفسها ضميراً لقومها ولا تستطيع أن تلغي قوميتها وعروبتها فهي تحزن لأحزانهم وتقول:

هل من الممكن إلغاء انتمائي للعرب/ إن جسمي نخلة تشرب من بحر العرب/ وعلى صفحة نفسي ارتسمت/كل أخطاء وأحزان وآمال العرب/(ديوان برقيات عاجلة الى وطني: ١٠). وهكذا احتجت على بعض قادة العرب وعلى الظلم في كل مكان.

من أقوال سعاد الصباح:" الشاعر الذي يبقى على هامش الحدث السياسي لا يجد من يستمع اليه لأن الجماهير العربية معبأة سياسياً... اذن فالشعر أصبح في عصرنا الحاضر معجوناً بالسياسة...ولم يعد نقوشاً على وجه الماء "(سعيد فرحات: ١٠٧). " إن الشاعر الحقيقي لا يسمع نشرات الطقس التي يذيعها التلفزيون بل يمشي في الغابة تحت المطر.. والبرق.. وعويل العاصفة "(المصدر نفسه:١٠٤)، لذا لم تتجاهل الشاعرة الوطن العربي ووصفت واقعهم المهتريء وانشغل فكرها

بما كان يمر على الأمة العربية من الشرق للغرب داعيةً الى تخليصه من حالة الإحباط القومي والإفلاس الروحي تقول:يا أحبابي/كيف بوسعي/أن أتجاهل هذا الوطن الواقع في أنياب الرعب/كيف بوسعي/أن أتجاوز هذا الإفلاس الروحي/ وهذا الإحباط القومي/وهذا القحط.. وهذا الجذب؟(ديوان خذني الى حدود الشمس: ١٢٢).

**لبنان:**

وتمتلك الشاعرة مشاعر قومية تجاه الأقطار المختلفة وعواطفها جياشة لا تحجبها الحدود، فصورت مآسي الأمة العربية في مصر والعراق ولبنان وفلسطين و...والوطن الحبيب الكويت، فها هي تذكر بيروت هذه المدينة التي لا نهايات لها فهي تتأسى على حريقها وحربها ودمارها ولكنها تؤكد انتصارها في النهاية تقول:سبعة عشر عاماً.. مرت على حريق بيروت/ولا تزال أكبر من موتها/ وأكبر ممن دمروها..و أحرقوها/.../لم تستطع أن تنتصر على لبنان/لم تستطع أن تنتصر على الحلم اللبناني/ والتوهج اللبناني/.../ربما استطاعت الحرب أن تحرق الحجر/والإسمنت/وأن تطفئ قناديل الشوارع/ولكنها بالتأكيد لم تستطع أن تطفئ حضارة/صيدون وصور/(ديوان خذني الى حدود الشمس: ١٠٢-١٠٤). هذه الشاعرة المفعمة بالأحاسيس الثورية والتي تصرخ في وجه كل معتد آثم فما هو موقفها تجاه السيف العربي الذي طعن الكويت في الظهر مع العلم بأن لها قصيدة بعنوان (قصيدة حب إلى سيف عراقي) حيث ساندت العراق ثم اضطرت إلى الدفاع عن وطنها:

عندما يطعنني في الظهر سيف عربي/يصبح التاريخ عارا/عندما يذبحني أبناء عمي في قرابتي/يصبح الحلم العروبي غبارا/ (ديوان برقيات عاجلة الى وطني:٤٥). إن هذا الطعن واقع لا يقبله العقل وقد تتساءل الشاعرة عن الذي قتل الكويت فهو ليس مجهول بل من لحم العرب ودمهم فلقد ترعرع في أحضانهم تقول الشاعرة:من قتل الكويت/ ينفجر السؤال في عقلي وفي قلبي/.../ هذا الذي قد قتل الكويت/.../يا سادتي/ لم يأت من غياهب المجهول/.../ليس بلا سلالة/فإنه من دمنا ولحمنا/.../أليس في أحضاننا ترعرع السفاح/(المصدر نفسه: ٧١- ٧٧). الكل قد شارك في جريمة القتل وشارك في صناعة الشيطان وصفق للطغاة والطغيان:من قتل الكويت/لا أحد يجرؤ أن يقول لا/فكلنا شارك في جريمة القتل/وفي تربية الثعبان/ وكلنا شارك في صناعة الشيطان/وكلنا صفق للطغاة والطغيان/ (المصدر نفسه: ٨١).الشاعر الواقعي يثور على الظلم ويرفضه بكل أنواعه حتى لو كان الطغاة من أنواع الجيران تقول عن ذلك:نحن الكوتيين.. من أخلاقنا/ أن نرفض الظلم على أنواعه/وفكرة الطغاة والطغيان/(المصدر نفسه، ص ٦٣).فالكويتيون باقون لقطع الكف التى تضربهم ويرفضون القهر:الكويتيون باقون هنا/ باقون هنا/ نلثم الثغر الذي يلثمنا/ نقطع الكف التي تضربنا/.../سوف نبقى واقفين/.../سوف نبقى غاضبين/.../ نحن قوم نرفض القهر/(المصدر نفسه: ٣٥- ٤١).شاعرتنا أميرة كويتية من آل الصباح تتألم على واقع الغزو العراقي للكويت فتدعو الأمة العربية لصون الكويت من طمع الفئة الباغية حتى لا تتكر مأساة لبنان وتسقط الكويت في الهاوية:كويتية أنا بنت الخليج/وصاحبة الهامة العالية/ وملء دمي مجد آل الصباح/.../فلا تجعلوا في مهب الرياح/صحائف أمجادنا الماضية/ فهذا الحمى درة للخليج/ وتاج على رأسه العالية/فصونوه من عثرات النفوس/ومن طمع الفئة الباغية/.../ فمأساة لبنان لما تزل تلوح بألوانها القانية/ فإياك إياك أن يخدعوك/وأن يدفعوك الى الهاوية/(ديوان اليك يا ولدي: ٧٤ – ٧).

وهنا تخشى الشاعرة على مجتمعها،وتكثر من استخدام أفعال النهي والتحذير والدعاء والنداء لما يتطلبه المقام،وترصد الواقع السياسي المنهار الذي تعايشه، وتهيب بأبناء الأمة العربية أن ينتبهوا لمظالم الحكام ودسائس المستعمرين.

## ظاهرة الألم والحزن والإحساس بالضياع والغربة

مع التمرد ورفض الواقع الأليم تبرز ظاهرة الألم والحزن والإحساس بالغربة عند الواقعيين، الشاعرة سعاد الصباح تتحدث عن غربتها في مواضع،إن الإغتراب هو نوع من التوحد مع الذات وتترك الفرد في حالة متوترة من الزعزعة، وفي تحليلنا لأشعارها تبين أن سبب هذا الإحساس الذي تحدثت عنه أحياناً يرجع إلى الإحساس بالإغتراب عن ثقافة المجتمع بتراثه وعاداته وتقاليده وكما تذكر في قصيدة (أحزان سائحة)كأنها تحس في الكويت بأنه جهنم بلا هواء لهذا السبب، وهذه الغربة ناتجة عن مقارنة ثقافة

الكويت الفتية آنذاك بثقافة القاهرة التي كانت ترتادها في الستينيات، إنها مفارقة كبيرة تجسد مفارقة عن الأهل، وأحياناً تبرز لنا في أشعارها الإحساس بالغربة والحزن نظراً لانشغال الزوج بمهامه السياسية وعدم تفرغه وتعدد أسفاره وهذه تظهر أكثر في أشعارها الغزلية ذات النواح لغياب الزوج الحبيب ووحدتها وغربتها خاصةً في قصائد ديوان(أمنية). ولا بد ألا ننسى أبرز حدث تعرضت له الشاعرة في مرحلة من مراحل حياتها وهو فقدان عزيز لها أي ابنها البكر مبارك أمامها وهي عاجزة، وقد تذوقت مرارة الثكل مبكراً وأنتجت عشرات من قصائد الرثاء،وهذا الحدث يعتبر من مسببات الإغتراب لديها،وإذا تتبعنا القصائد نجد أن الشاعرة في المرحلة التي صاحبت الغزو العراقي للكويت تتحول إلى واعظة وناصحة محبة للوطن والأهل، وتظل السمة الإغترابية الواضحة جداً في أشعارها هي بذور الرفض والثورة المبطنة بالحب والخوف على الأهل والمجتمع، وعلى هذا فالشاعرة سعاد الصباح تعاني من وحدتها في مواجهة الواقع، خاصة بعد فقد زوجها الأمير وسندها:

أنا وحدي أتردى في متاهات الطريق/
وقد أثقلتني قسوة الأيام بالقيد العتيق/
(ديوان أمنية:٥٩).

سعاد الصباح تنقلت بين دول عربية أوروبية عديدة وكانت أكثر تلك الأسفار لمرافقة الزوج المتنقل والذي كان يقيم في الخارج أحياناًلأسباب سياسية،أو بقائها بعيدةً عنه وهو في السفر ولكن جذورها الأصيلة كانت تشدها الى أرضها ومتعلقاتها هناك على الرغم من جمال تلك البقاع، تقول في قصيدة (في الغربة):ويهتاجني الشوق أحياناً في وحدتي/ فأبكي، وأنت بعيد السفر. وقد تستسلم لعواطفها والبكاء أحياناًوتقتلها الوحدة والغربة: سائحة أنا..أجوب في الورى كل فضاء/.../فلا أرى لي سلوة في غربتي سوي البكاء/.../عشرون يوماً ها هنا عواطفي بلا غذاء/أعيشها في غربتي بلا مُنى ولا رجاء /وأنت يا قاهرتي الحسناء يا أغلى دعاء/هل تشهدين أدمعي وتحملين لي الرثاء(ديوان أمنية: ٥٢). وأحيانا تجد السلوان في غربتها من القيود التي تقيدها في مجتمعها فهي تحب بيروت لأنها المدينة التي تشبهها ولأنها تحس فيها بأنها إمرأة ثانية إمرأة تحررت من العصر الرجولي: ليس من مدينة تليق بالحب/سوى بيروت/ليس من مدينة تشبهني/من مدن الدنيا سوى بيروت /.../أحس في بيروت أني إمرأة ثانية/في ذلك العصر الرجولي الذي/ صادر عقلي مرة../ومرة أنوثتي/آتي الى بيروت..كي أحيا ليوم واحد/وألتقي حريتي/(ديوان خذني الى حدود الشمس: ١٣٩- ١٤١). إن أقسى أنواع الإغتراب هو أن يشعر الإنسان أنه مغترب عن جنسه متميز بأسلوبه وسلوكه ونمط تفكيره:قد كان بوسعي أن أحتسي القهوة في دفء فراشي/وأمارس ثرثرتي في الهاتف/ دون شعور بالأيام وبالساعات/.../لكني خنت قوانين الأنثى(ديوان في البدء كانت الأنثى:١٣)، إن إضافة الوشايات للنساء وتخصيصها لهذا الجنس هو نوع من فضل دون الآخر،وتبين الشاعرة بأن قوانين الذات لجنسها وتتعالى عليه وتجعل الإناث في كفة وهي وحدها في كفة.

الحنين إلى الوطن مشهود في أشعارسعاد تقول:أيا وطني..أنا في غربتي/أحن الى أرضك النائية/(ديوان إليك ياولدي: ٧٧).

وفي أيام الغزو العراقي للكويت وتشتت أبنائها تصور لنا الشاعرة احساس كل أبناء الكويت بهذه الغربة المأساوية والتعب في المنافي خاصةً بعد الرجوع الى أرض الوطن:يا أمنا الكويت/ضمينا الى صدرك بعد غربة/يا أمنا الكويت/ بالأحضان بالأحضان/لقد تعبنا في منافينا/.../مضت شهور سبعة/ ونحن ضائعون في الزمان والمكان/(ديوان برقيات عاجلة الى وطني: ٩٢و٩٣).

## التفاؤل والتبشير بالفجر الجديد والتنبؤية المستقبلية

الواقعيون العرب يطالبون بالتحرر من التخلف الحضاري ويتطلعون الى غد أمثل تسود فيه العدالة الإجتماعية (نشاوي:٣٣٢) ويتفق مع رفض أشكال القوة المتسلطة والإستعمار والنظم التقليدية التبشير بالفجر الجديد الذي تحلم به الشعوب(هدارة، ١٩٩٤م:٣٧) في قصيدة (ايمان)يبدو لنا مظهر من ملامح الشاعر الواقعي وهو نبذ اليأس والتشاؤم وانتظار الأمل:

فلتطرحي من قلبك العناء والتطيرا/
وتنظري لليأس نظرة النجوم للثرى/
وتُطلقي في شعرك السلام والتحررا/
وتزرعي في ضفتيه الأمل المنورا/(ديوان أمنية: ٥٦). ولأن الحزن واليأس يغمر قلب الشاعرة نتيجة واقع الأمة العربية فإنها تنتظر مع كل اليائسين المخلص أو المهدي إنها تنتظر المعجزة الميتافيزيقية(سعيد

فرحات: ٨٠) تقول:فاتركوا أبوابكم مفتوحة/طول ساعات السمر/ فلقد يأتي المسيح المنتظر(ديوان خذني الى حدود الشمس: ١٥٦).وها هي تنتظر منجي آخر وهو المهدي(ع):سوف أبقى دائما/أنتظر المهدي يأتينا/.../وتباشير مطر(ديوان برقيات عاجلة الى وطني:١١). وفي أثناء المحنة التي مرت على الكويت قاومت و ظلت صامدة قوية في انتظار رجوع أبنائها الى أحضانها تقول الشاعرة:سنُرجع الكويت مهما أطبق الظلام/.../لن تنتهي المقاومة/حتى يعود موطني جزيرة للحب والسلام/.../سيرحل المغول/ (المصدر نفسه:٥٣ و ٥٦)وقد استخدمت لفظة المغول والتتار كثيراً في قصائدها ولها قصيدةبعنوان(سيرحل المغول)لبيان هول الفاجعة حيث أن المغول كانوا رمزاً للدمار والخراب في أي مكان قد دخلوه وهي تستخدمها للجارة العربية التي طعنت الكويت:لا أحد يقدر أن يطفئ نور الشمس/ أو يصادر الصباح(المصدر نفسه، ص ٦٥).وتحثّ الشاعرة على الجهاد والثأر للمقتول وتُقر بأن الشعوب أقوى من الطوفان:حي على الجهاد/لابد في نهاية المطاف/أن يثأر المقتول من قاتله/وأن يدور الحبل حول رقبة الجلاد/.../إن الشعوب دائماً أقوى من الطوفان(المصدر نفسه:٨٣ و٩٦).إن الإستباق والتنبؤ للمستقبل لايمكن أن يراه إلا الشاعر الواقعي الفذ، والشاعرة سعاد الصباح كانت تؤمن أن الوطن الحبيب سيرجع تقول:سيرحل المغول/ويرجع البحر إلى مكانه/ويرجع النخل إلى مكانه/ويرجع الشعب الكويتي إلى عنوانه/.../وترجع الكويت للكويت. وتضيف أيضاً:سنُرجع الكويت مهما امتدت الأيام (المصدر نفسه:٤٩و٥٣). وهذا يدل على الواقع القريب.

## إستدعاء الشخصيات التاريخية والأبطال والأساطير

وكثيراً ما يرجع الشعراء الواقعيون أثناء تصوير هموم الواقع الى الماضي المجيد والشخصيات التاريخية ليستمدوا منها الحماسة لتحريك النفوس وتنظير واقع البطل التاريخي المذكور وواقعنا ولذا جاء في أشعارها شخصيات دينية وقومية لقدذكرت النبي (ص): وعلي (ع) وفاطمة الزهراء (ع) والخنساء وابن زياد وصلاح الدين ويعرب و... تقول في ذلك:إن أمي الغراء فاطمة الزهراء/وأبي يعرب الذي بارك الأرض/ وقامت في ظله الأنبياء/وأخي قاهر الغزاة الصليبيين(ديوان في البدء كانت الأنثى:٢٨). وذكرت في أشعارها السندباد ككثير من الشعراء باعتباره كان بطلاً خليجياً خيالياً لقي المصاعب في سفراته واستطاع النجاة، نُسجت حوله القصص ولا بد لأبناء الكويت أن يقاوموا المصاعب كأسلافهم ويشقوا أمواج البحر للوصول إلى بر الأمان:سندباد كان بحاراً خليجياً عظيماً.. من هنا/والذين اشتركوا في رحلة الأحلام هم أولادنا(ديوان برقيات عاجلة إلى وطني:٨١).وتذكر أن أمثاله سيبنون الكويت بعد أن تُبعث من جديد:ستُبعث الكويت من رمادها كطائر الفينيق/ وتبدأ الرحلة من أولها/ويرفع القلوع سندباد(المصدرنفسه:٨٣).

## التناقضات

عاشت الشاعرة في مجتمع تقليدي،وكان يؤلمها الفروق بين الأنثي والذكر وهذا ما ذكرته في أشعارها،ثم جاء السفر ليأخذها إلى مجتمعات عربية واوروبية أخرى وليعرّفها على الفروق بين مجتمعها وتلك المجتمعات المتحضرة آنذاك وهذا واقع لا يمكن تجاهله حيث عايشت تجارب وواقعيات في بيئات متناقضة، ونحس بنوع من الإنبهار أو الإغتراب عندما نقع على ما جاء في شعرها من طبيعة مجتمعها بنخيله وصحاريه ورماله وبحره ولؤلؤه، ثم كتبت عن كل ما وقع عليه بصرها في المجتمعات الأوروبية: كليدرمان، بتهوفن، سويسرا،الثلوج، بحيرة ليمان، قهوة اكسبرسو، البحر الصيني، جبن منطقة السافون، سالزبورغ،البحر الكاريبي، المقاهب الإيطاليةو...علاوة على ماجاءعن المجتمعات العربية الأخرى كل هذة التناقضات برزت في أشعارها وهي من ملامح الواقعية، ونستطيع أن نلمس ثناءيات ضدية كثيرة: ليبرايتك/ نرجسيتك/.../بين حضارتك على الورق/ وعدوانيتك على النساء(إمرأة بلا سواحل: ٨٨) وتقول أيضاً:أنا محافظة وأنت جسور/، وحتى تذكر الفرق بين العاشقة الأوروبية والعربية(ديوان في البدء كانت الأنثى: ١٢١) و تظهر أيضاً حالة من التناقض كأن الشاعرة تشطر نصفين: الأول يستدعي الثورة والتمرد، والثاني الخضوع والإستسلام. فهي كثيراًما طالبت بالحرية مثلاً:"وأردّ القيدعن حريتي "في قصيدة (جنتي) ثم تأتي لتقول:إني أهواه طول العمر قيداً في يميني(ديوان أمنية:٦٤).وحتي عناوين بعض قصائدها تتسم بالتضاد (القمر و الوحش).

هذه الشاعرة التي درست في مصر

وبريطانيا ونشرت الكثير من دواوين الشعر لتدافع عن حرية المرأة في الحب واختيار من تحب وعن حرية الإنسان وحقه في الكلام وهاجمت الرجعية والجاهلية(قصيدة وردة البحر) هذه الشاعرة الثائرة لم تستطع التخلص من آثار وبقايا إرث عمره اربعة عشر قرناً. لقد كررت الشاعرة لفظة سيدي في خطابها للرجل في قصائدها مرات عديدة ففي هذه اللفظةخضوع من بقايا عصر الحريم.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن الشاعرة اعتمدت في قصائدها على اللغة المباشرة والسهلة وأكثرت من الأساليب الإنشائية لأنها لغة التواصل وفي مواضع قليلة استخدمت الكلمات العامية:أنا الخليجية التي يمر بين شفتيها خط الإستواء / على خيطان دشداشتها تجمع مراكب النواخذة.

## النتيجة

الشاعرة سعاد الصباح إهتمت بالواقع الاجتماعي في المجتمع الكويتي وما عاني الناس هناك من ظروف قاسية في الصحراء أثناء فترة البحر وصيد اللؤلؤ، وتحدثت كثيراً عن واقع المرأة في هذا المجتمع وواقعهن في المجتمعات العربية الأخرى، وتألمت لعدم المساواة بين الرجل والمرأة فيها،وثارت وتمردت ضد هذا الظلم التي تتعرض له المرأة، واتخذت من الحب وسيلة للتغيير لأن الحب يستطيع أن يحرك الأموات على حد تعبيرها في قصيدة نضال وهذا هو الحب الواقعي الذي يختلف عن الحب الرومانسي، إنها تقاتل من أجل بنات جيلها وليس بدوافع شخصية وهي تريد تغيير واقع المرأة على امتداد الوطن العربي وتحريرها من أجل تحرير المجتمعات وطالبت بوجوب مساواة حرية المرأة بحرية الرجل وجندت كل طاقاتها لتحدي الواقع المرير للمرأة في المجتمعات الرجولية، المرأة هي الوطن وتحرير المرأة هو تحرير الوطن.

ولم تتعرض للفقر والفقراء وبعض الأمراض الإجتماعية التي يعاني منها المجتمع الكويتي بالكم الذي فيها للمواضيع الأخرى.

كما تأثرت بمآسي الأمة العربية وتحدثت عن واقع المأساة الفلسطينية وماهية الصهاينة والدول الكبرى، ولم تقف عواطفها في بلد عربي واحد فقد ذكرت ما تعرضت لها تلك الدول على الساحات السياسية واحتجت على بعض القادة العرب وعلى الظلم في أي مكان، ومن الطبيعي ألا نغفل ما نظمته من قصائد حول الغزو الكويتي حيث ترصدت الواقع على أرضها.

وتحدثت عن إحساسها بالغربة والإغتراب الواقعي والتوحد مع الذات في مواضع كثيرة لأسباب عديدة منها:

مفارقة الأهل والزوج في الأسفار- فقدانها ابنها العزيز ثم زوجها السند - وتوحدها بين بنات جيلها وفي مجتمعها – حنينها للوطن أيام الغزو العراقي للكويت.

ومن تجليات الواقعية في أشعارها ترقّب المستقبل السعيد وانتظار المعجزة الميتافيزيقية وظهور المنجي، كما استدعت الشخصيات التراثية والدينية لتحريك النفوس وتغيير الواقع لأن الواقعيين يريدون أن يكون الأدب وسيلة من وسائل البناء حين يتحدثون عن الواقع للإنسان ولا يكتفون بتصوير سلبيات الواقع بل يتطلعون إلى إصلاح الحياة الإنسانية ولهذا يتصفون بالنظرة التفاؤلية.وهذا ما كان جلياً في مواضع من قصائد سعاد الصباح حيث النهايات السعيدة.

واستخدمت لغة سهلة مباشرة واختارت المواجهة بعبارات وكلمات صريحة وجريئة وقريبة للغة التخاطب اليومي ولغة الواقع الملموس وحاولت إدخال التعابير المتداولة في تضاعيف قصائدها مثل أشيلك وأكلات شعبية عربية مثل منقوشة الزعتر وواضح من خلال قصائدها أنها تأقلمت وتأثرت بالأجواء المختلفة التي عايشتها خلال فترات إقامتها أو دراستها خارج الكويت وكما يقولون من عاشر القوم اربعين يوماً صار منهم فهي تلتقط من واقع تلك الأجواء كل ما يقع عليه البصر كالصورة الفوتوغرافية وهذه من سمات الواقعيين. وتقول الشاعرة عن نفسها:"الرمزية تبعدني عن الواقع أريدأن أصرخ بوضوح وأحتج ضد ابتزاز الإنسان"،ونستطيع أن نصل إلى أن معالم الواقعية كان ملموساً في قصائد الشاعرة سعاد الصباح الى جانب التيارات الأخرى وكل معلم من هذه المعالم يفتح بابا لدراسات أخرى.

# المصادر والمراجع

- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٩٨م.
- ابو حاقة، احمد، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت ط ١، ١٩٧٩ م.
- الاصفر، عبدالرزاق، المذاهب الادبية لدي الغرب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٩م.
- راغب، نبيل،موسوعة النطريات، الشركة المصرية للنشر لونجان، ٢٠٠٣م.
- الصباح، سعاد، ديوان أمنية،دار سعاد الصباح للنشر، ط ٢، الكويت، ٢٠٠٦م.
- الصباح، سعاد، ديوان إمرأة بلا سواحل، دار سعاد الصباح، الكويت، ١٩٩٤م.
- ديوان القصيدة أنثى والانثى قصيدة ، دار سعاد الصباح للنشر، ط١، الكويت، ١٩٩٩م.
- ديوان اليك يا ولدي ، دار سعاد الصباح للنشر، ط١١،الكويت، ٢٠٠٦م.
- ديوان برقيات عاجلة الى وطني، دار سعاد الصباح للنشر، ط٦،،الكويت، ٢٠٠٥م.
- ديوان خذني الى حدود الشمس، دار سعاد الصباح للنشر، ط١، الكويت، ١٩٩٧م.
- ديوان في البدء كانت أنثى ، دار سعاد الصباح للنشر، الكويت ٢٠٠٠م.
- فرحات، سعيد، بلال خير بك، قراءة نقدية في شعر سعاد الصباح، شركة النور للصحافة والطباعة والنشر، ط١،لا تا؟.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، منشورات دارالثقافة، ايران، قم، ١٩٩٠م.
- معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين ط١،الكويت١٩٩٥م.
- مفيد، فوزي، مفاتيح قلب شاعرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت، ٢٠٠٠م.
- نشاوي، نسيب، مدخل الي دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر، الجمهورية العربية السورية،؟ ١٩٨٠م.
- هدارة، محمد مصطفي، بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩٤ م.

## المجلات

- مجلة العربي، العدد٦٤٦، الشهر السابع، سنة ٢٠١٢م، ص ٤٥.
- العدد ٥٥٥،فبراير، سنة ٢٠٠٥م،ص ١٧.